

## الشعر والميتافيزيقيا، القصيدة الجاهلية نموذجاً

أ.م.د. كاظم حمد محراث  
جامعة واسط — كلية التربية للعلوم الانسانية

## الملخص

يستوعب الفكر الغيبيّ الإنسانيّ مجمل الأفكار والمعتقدات التي لو سُئِلَ الإنسانُ عن مصدر رسوخها في مخيلته، وعن سبب ارتمائها في ذهنيته، لأحالها إلى دوافع غيبية غير محسوسة، وسيأتي مع هذه الأفكار حشدٌ من التخيّلات والإيماءات والرموز التي أحالتها بيئة الإنسان المعيشة، ومخاوفه الذاتية، وهمومه النفسية، إلى أفكار خفيت جذورها من المعاينة الظاهرة، ومُلنا إلى جعلها متأتيةً من إسقاطات معتقدات الأسلاف الموغلين في البعد التاريخي وعباداتهم وتوجّساتهم من الشرور المُحدقة بهم في الوجود.

والحقّ أنّ أوامر غامضة تربط الشعر بعالم الغيبيات، فبعض القوائد الرائعة تُحدث صدمة "Shock" في النفس تماثل ومضات فلسفية عميقة تكشف على حين فجأة عن قرارة الوجود الإنسانيّ، أو أعماق الطبيعة البشرية (١). والقصيدة العميقة قلّما تكشف لمتلقّيها عن وقائع خاصّة يُدرِكها للمرّة الأولى، ولا تكاد تخبره عن شي يجله عن عالمه الخارجي، وإنما تجيء فتعبر بطريقة أصيلة عن إحساس غامض كان يعتوره، أو تجربة عميقة سبق أن مرّ بها، أو حيرة نفسية دقيقة اجتازها في وقت من الأوقات. وهنا يظهر إبداع الشاعر في توظيف اللغة واستعمالها، وتبرز قدرته على نقل الألفاظ من مجرد رموز تدلّ على معانٍ، وجعلها تشير بطريقة خفية إلى عمق الحياة وسرّ الوجود، وعند ذلك ينتزع الشاعر اعترافاً بنجاحه في جعل النفس تمسك بفكرة جديدة، كانت تتوق إلى تمثّلها لولا عوْز الموهبة ونقص القدرة على التمثيل.

شغلت دراسة الفكر الإنسانيّ الموروث بالدارسين قديماً وحديثاً، رغبةً منهم في معرفة الممارسات الغيبية وطقوسها والأساطير المركورة في عمق الذاكرة الإنسانية، والوقوف على تشابه تلك المعتقدات بين أمم الأرض، واختلاف بعضها بحسب الظروف المحيطة بالنشأة والنمو والتطور. (( كانت تلك الأفكار من أعمق منجزات الروح الإنسانية المليئة بالتأمل العميق، وكانت الخلق الملهم لعقول شاعرية خيالية موهوبة سليمة لم يُفسدتها تيار العقل التحليلي والفحص الدقيق الذي لا روح فيه)) (٢).

وحقا أن الإنسان الجاهلي لم ينبج فلاسفة يظاهرون فلاسفة الأمم الأخرى، وإن شعراء ذلك العصر لم يكونوا يوما فلاسفة يبرهنون نظريات، ولكنهم مع ذلك قدّموا الدليل على أن الإنسان العربي قبل الإسلام لم يكن في حاجة إلى حقائق تخدمه وتنفعه، بل هو في حاجة إلى حقائق وقضايا يخدمها ويتعلق بها، ويخلص لها، تمثلت عنده؛ بالانتماء القومي تارة، وبالولاء القبلي تارة أخرى. بالتشبث بالمرأة وقضاء وطر الحياة معها، أو ببلوغ الخلود المعنوي بممارسة شتى ضروب الكرم والجدو والفروسية، بعد اليأس من نيل الخلود المادي... غير أن واحدة من تلك القضايا أو كلها، لم تكن قادرة على جعل الجانب الروحي مستقرا عند الإنسان الجاهلي، ولم يكن معتقدا باعتناق هذه القضية أو تلك، ولكن لما بزغ نور الهداية، وجد في الإسلام قضية تستحق الولاء، وحقيقة جديرة بالإخلاص، فضحى حدّ الفناء في سبيلها.

كانت القصيدة الجاهلية أقدر وسيلة فنية في التعبير عن متناقضات الوجود الإنساني بما يجيء معها من صراع وتوتر وتمزق وقلق، ذلك أن كثيرا من هذه المعاني لا يقصدها الشاعر قصدا، لأنها ليست في شعوره الواعي، بل كثيرا ما يعبر عنها في حالة من حالات لاوعيه، أو غيبوبته الشعرية، ونحن نعرف كيف عبّر طرفة بن العبد وأضرابه عن مظاهر هذا التناقض. وهنا قد يعترض البعض على التقريب بين الفلسفة ومضامين الشعر العربي قبل الإسلام، بدعوى أنه ليس في ذلك الشعر أي موضع للتفكير الفلسفي، ولم تكن عقلية الإنسان الجاهلي قادرة على إشاعة سر الحقيقة القدسية الإلهية، إذ لم يكن الشعراء الجاهليون آلهة، وليسوا أنصاف آلهة، وليسوا وسطاء بين الآلهة والبشر، بل لم تكن نظرة الناس تتعدى وضعهم في منزلة الشعراء، ولكن رسالة الشاعر الجاهلي كثيرا ما كانت تنحصر في إظهار الحقيقة القدسية الكامنة في قلب الوجود، وبدا الشاعر الجاهلي كأنه حامل رسالة كبرى، لأنه لا بد أن يضطلع بمهمة التعبير عن تلك الرموز أو العلامات التي هي لغة الآلهة منذ القدم... فحين يؤمن الشاعر الجاهلي سلبيا بالقدر، وحين يخشى السرّ الكامن في الوجود، وحين يشعر بالزمن الفاني وبالوجود المنتصر، فذلك يعني أن وظيفته تبدأ حين يأخذ على عاتقه الإفضاء إلى الناس بسرّ خبرته الروحية، وأن يعلن إلى الملائكة حقيقة الشيء المقدس الذي أتيح له الوقوف عليه. وجد الشعراء الجاهليون حلا لمشاكلهم الفكرية على طريقتهم الخاصة، وتمكّنوا من استيعاب مختلف المواقف محتملة الوقوع في حياتهم، ولاسيما تلك المتعلقة بعلاقتهم مع الطبيعة، وأظهر شعرهم إحساسا جميلا بالوجود، ووقف طويلا على القيم الإنسانية النبيلة، وتمكّن الشعر الجاهلي من عرض فهم ذلك الإنسان لطبيعة العلاقة بين الإنسان والكون.

عبر النص الشعري الجاهلي عن متناقضات الوجود الإنساني بما يحيط به من قلق وصراعات وتوتر، يتجلى ذلك في دلالات المعاني التي لا يقصد إليها الشاعر قصداً، بل تتناثر عليه انثيالاً، لأنها ليست مما يعيه أو يذهب إليها بوعيه. ولا نزعاً \_ هنا \_ أن شعر ذلك الجيل القديم كان قادراً على إشهار سرّ الوجود، وأولئك الشعراء لم يدعوا النبوة، بل كانوا واقعيين، وإن بدا بعضهم كأنه يحمل رسالة روحية حين عبر عن كثير من الرموز والشفرات والعلامات التي هي سمة الغيب منذ القدم. وليت أن هذا البحث يتمكن من فكّ بعض الرموز في بعض الشعر الجاهلي، وصولاً إلى معاينة انعكاس الأفكار الغيبية التي شغلت تفكير البشرية، التي منها؛ الوقوف على إيمان ذلك الإنسان بالقدر إيماناً سلبياً، وخوفه من السرّ الكامن في الوجود، وإحساسه بالزمن الفاني وبالوجود المنتصر، وسواها من أفكار عالم الغيب.

ففي موضوع اعتماد القدر والاعتقاد به، تدخل الدراسة الأدبية حيز الخوض في موضوع المشكلات الإنسانية الكبرى التي شغلت مساحة فكرية مهمة في مضامين القصيدة العربية القديمة، وجاءت بسبب الخوف من المصير، واستنفاد طاقة الحياة وعدم القدرة على البقاء ونتيجة تواتر أخبار الأمم البائدة، بشكل وضع صورة فناء الإنسان وعدم قدرته على مجابهة الموت في أذهان من يليه، فضلاً عن غياب الاعتقاد بفكرة دينية تبعث فيهم الإيمان باليوم الآخر، والحساب والبعث والنشور، كتلك التي بنّتها الإسلام لاحقاً وما أضيف لذلك من عوامل البيئة المعيشة في عالم صحراوي لا يتناهى امتداده، ومحفوف بمخاطر الموت، وتلك أسباب كافية لمنح الجاهلي صفة الإيمان السلبى بالقدر، وجعله يعزو فضلاً ما

يلحقه من خير، وما يصيبه من شرٍ إليها، فقد قُدرت المقادير، وكُتبت الحظوظ:

ونحنُ مع المنايا كلَّ يومٍ ولا يُنجي من الموت الفرارُ (١)

وكان إيمان الإنسان الجاهلي بالقدر خطوة على مدرج طويل، كانت مسبوقه بخطوات تُجهل مسافاتها بسبب غياب موارد بحثية تبين تراث الأمة طيلة حقبة مهمة من التاريخ لم يصل إلينا منها شيء سوى الشعر الذي لا يتجاوز عمره مائتي عام قبل الإسلام، وليست لدى الدارسين اليوم فكرة عن مضامين ما سبقه من شعر، ولا عن دلالاته الفكرية ونظرته إلى المشاكل الإنسانية الكبرى. لكنّ ((فكرة أنّ كلَّ شيءٍ في هذا الكون قدرٌ محتوم فكرة قديمة غلبت على عقلية الشرقيين بسبب الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعسكرية التي كانت سائدة آنذاك، أوضاع جعلت الغالبية من الناس تشعر بأنها مسخرة وأنها تُدفع في حياتها دفعا في سبيل خدمة النخبة المتحكمة المُسيّرة للأُمور)) (٢).

ويكاد البحث عن إيمان الإنسان الجاهليّ بالقدر يختلط مع البحث عن الخلود عنده، وذلك لان كثرة تعرضه للنكبات المؤدية إلى الموت تجعله يزداد إذعانا للرضوخ لفكرة الزوال، لكن الحدّ الفاصل بين الموضوعتين يتّضح بعد الوقوف على طبيعة احتواء النصوص الشعريّة لمضموني حرص الجاهلي على البقاء وخشيته من الأقدار التي قد تعترض حياته.

خاض الإنسان العربيّ قبل الإسلام صراعاً عنيفاً مع الزمن، ومع الطبيعة وما تعكسه من رعب وقلق مع الوجود الغامض الذي يحيط بها، فامتألت حياته خوفاً وإحساساً بنهاية كلّ شيءٍ قبل أوانه:

وما يُثَبِّتُ المنيةَ حين تأتي على أدنى الأحبّة من مزيد(٣)

و (( شعر أنّ الفرح انتهى، أنّ اللهو مضى، أنّ الشباب فني، أن وجوده تغيّم عليه تجربة التناهي

المُحَقِّق، وأن حياة الشاعر واقعة تحت جبر القضاء وظلم المنية)) (١)، وقَرَن نفسه بالكائن الحيّ المنظور في بيئته، وشهدنا يقين الموت يلاحق ذهنه وضميره حتى وهو في أسعد لحظات ممارسة اللذة وانتهاج متع الحياة، إذ لا يكاد يتحسس الراحة، ويشعر بالحرية، وقد أمسك القدر طرف الحياة الأخرى:

ألا أيُّهَذَا اللَّائِمِي أَحْضَرَ الْوَعَى وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي(٢)

واستلهم من الماضي أحداثاً تتصل بحياة الأجداد، وبحياة بعض الأمم البائدة، مثل عاد وثمود، فاستخلص منها العبر، وأدرك أنّ حياته مثيلة لما في الماضي من ممالك بادت، وعروش تهاوت، وملوك وحكام عظام لم يمنع عنهم الموت مُلْكٌ ولا أحراس، ووجد تماثلاً في المصير، وعجزاً عن مواجهة الفناء، وتحقّق لديه أنّ الموت حقيقة واقعة، وأنه نهاية كلّ حيٍّ، وليس في المقدور تخطيه:

إِنَّمَا نَحْنُ كَشَيْءٍ فَاسِدٍ فَإِذَا أَصْلَحَهُ اللَّهُ صَلَحَ(٣)

ودخل الشاعر الجاهليّ جدلاً مع الوجود، وعاش تجربة الحياة محاولاً استنباط ما وراء الظواهر فيها، وإدراك مغزاها، فقرّر أنّه لا شيء خالد سوى الله والزمان والسّماء والجبال، وأبدى نظرات فلسفيّة بقصد التخفف من وقع المصائب:

|                                     |                                    |
|-------------------------------------|------------------------------------|
| ألا لَيْتَ شعري هل يرى الناس ما أرى | مِنَ الأمرِ أو يبدو لهم ما بدا ليا |
| بدا لي أنّ الناس تغنى نفوسهم        | وأموالهم ولا أرى الدهر فانيا       |
| وأني متى أهبط من الأرض تلعة         | أجد أثراً قبلتي جديداً وعافيا      |
| أراني إذا ما بثّ بثّ على هوى        | وأني إذا أصبحت أصبحت غاديا         |
| إلى حفرة أهدى إليها مُقيمة          | يُحِبُّ إليها سائق من ورائي        |

بدا لي أنني لستُ مُدركٌ ما مضى      ولا سابقاً شيئاً إذا كان جائياً  
ألا لا أرى على الخوايدِ باقياً      ولا خالداً إلا الجبالَ الرواسياً  
وإلا السَّماءَ والبِلادَ ورَبَّنا      وأيامنا معدودةً والليالي (١)

وعكست التجربة الشعرية الحاملة لموضوع الفناء وجلاً من الدهر، بوصفه المرادف للموت، وخوفاً من سطوته، وامتداد يده إلى الوعول المعتمسة في معاقها الحصينة، وإلى الحُمر القوية، بقصد التعبير عن وقوع الأحياء جميعها في قبضته، وليس معقولاً إفلت الإنسان ونجاته من هذه القبضة:

والدهرُ لا يبقى على حدثانهِ      في رأسِ شاهقةٍ أعرُّ مُمنعٌ  
والدهرُ لا يبقى على حدثانهِ      جَوْنُ السَّراةِ لَهُ جَدائِدُ أربَعُ (٢)

وقد تنبه ابن رشيقي القيرواني لمضمون هذه الفكرة حين نظر إلى تأسي شعراء المرثي بقصص الملوك والأمم البائدة والحيوان المنعزل، يقول: (( ومن عادة القدماء أن يضربوا الأمثال في المرثي بالملوك والأعرَّة، والأمم السالفة، والوعول الممتعة في قلل الجبال، والأسود الخادرة في الغياض، وبحُمر الوحش المُتَصَرِّفة بين القفار، والنَّسور، والعقبان، والحيات، لبأسها وطول أعمارها، وذلك في أشعارهم كثير موجود لا يكاد يخلو منه شعر )) (٣).

والملاحظ استعانة مُنْشِدي كثير من النصوص الشعرية بفلسفة جبرية سكونية، يعزو كل واحد منهم رسوخ الفكرة التي يتبناها إلى قدرة الله، فليس للبشر حول ولا قوة على تحقيقها، أو تبديلها، أو تحديدها، فانتهى التفكير والتأمل عند بعضهم إلى تمثّل الدهر في صورة مشخّصة تبعث على الرّهبة والفرع، فكان في أذهانهم قانصا يتحين غرّة ليرمي صيده:

والدهرُ يلعبُ بالفتى      والدهرُ أروغ من ثعاله (٤)

أو غادراً بالعهد، مُهلِكاً الملوك، ناصبا الحبال لهم:

ألم يخبرك أن الدهرُ غول      ختور العهد يلتهم الرجالا  
أزال من المصانع ذا رياشٍ      وقد ملك السهولة والجبالا  
وسدّ بحيث ترقى الشمسُ سداً      لياجوج وماجوج الجبالا (١)

وبدا الإنسان الجاهلي في أحيان كثيرة، مستسلماً لقوى خارجة عن إرادته، يعتقد أنها تُسِير حياتَه حسب مشيئتها. وبصرف النظر عن تأويل ارتباط هذه القوى بالله أو بالدهر، فإنّه كان يؤمن بأن ما يصيبه في هذه الحياة، هو قضاء محقق، وقدّر قد فُرض عليه، ولا سبيل للتخلص منه:

وإنّا سوف تُدرِكنا المنايا      مُقدّرةً لنا ومُقدّرينا (٢)

وفاق اعتقاد الجاهليين بقسرية الموت، وحتميته، وشموله، وارتباطه بالقدر أي اعتقاد، لذا شاع في مراثيهم التّطرق إلى صروفه، وصار الشاعر يرى في موت الفقيد موته هو، ويرى في القدر الذي جرى عليه قضاءً لا بد أن يَطَّالَهُ هو أيضاً، بسبب الشّعور بالغربة والفقْد، وحتمية الفشل في مواجهة قوى الذّهر المتسلطة على مصير الإنسان، ولا يبقى له إلا أن يعزيّ النفس بأنّ الموت مُقَدَّر على النّاس جميعاً، وأنّ أحدا لا يستطيع النّجاة من حتميّة المطلقّة:

أنته المنايا وهو غصّ شباؤه      وما لِمَنّايا عن جمى النفس من عزم  
وكُلُّ امرئٍ يوماً إلى الموتِ صائرٌ      قضاءً إذا ما حان يُؤخِّدُ بالكَظْمِ  
وما أخذَ حَيٌّ تأخَّرَ يومُهُ      بأخْلَدَ مِمَّنْ صارَ قَبْلُ إلى الرّجْمِ  
سَيأتي على الباقيين يومٌ كما أتى      على من مضى حَتَمَ عَلَيْهِ مِنَ الحَتْمِ (٣)

وبعيداً عن الصّورة التّقريريّة الواضحة في نصوص شعريّة شكّلها إيمان الإنسان الجاهليّ السّلبّيّ بالقدر نتيجة قلقه من المصير المحتوم، فيمكن في نصوص شعريّة تغطي موضوعات القصيدة كلّها، استجلاء ذلك الإيمان الذي لا نستطيع إدراك ملامحه الخفيّة دون الابتعاد قليلاً عن الصّور القريبة التي يظهرها النّصّ أول مرة، والغوص إلى مكنون الشّاعر، والكشف عن التّبع الذي يغرف منه، والتّور من أسباب ذلك، أو لعلّه مادة اعتمدها الشّاعر الجاهليّ في بسط فكرته عن القدر، ليس لأنّه يرى مصرعه أمام عينيه باستمرار، بل هو كذلك فضلاً عمّا في صورة التّور من أبعاد أسطوريّة تحوّل فيها من العبادة الطّوميّة إلى كونه مُمَثِّلاً للإله القمر (١) الذي تناسى الجاهليّون عبادته بشكلها المنظور، لكنّ تقديسه غير المنظور بقي طاغياً في نشاطاتهم، وبخاصّة في ميدان التّأمل الخفيّ الذي يعكسه الشّعر.

فالتّشبّه بالالتفات إلى قوّة خفيّة تحميه وترد له اطمئنان العيش، متأتيّة ممّا يحيط به في البيئة من مخاوف تحيل مكنون مشاعره إلى الالتجاء لمعاينة كائن مفعم بالنشاط والحركة، يُكُنُّ له خارج وعيه قدراً من التّبجيل والقدسية، بقصد تمثّل مصيره بمصيره، فكان حرصهم على إبراز التّور منفرداً في القلاة، قلقاً، متوجساً خيفة كلّ طارئ - وليست حياة الجاهليّ بأبعد من هذا الوصف - زد على ذلك تفوق ذلك المثل بامتلاك أدوات للصرع توّهله للاصطدام بالصّعوبات، ليس أضعفها الأداة القدسية المستمدة من قواه الغيبية القادرة على مواجهة ضربات القدر والانتصار عليه، وتلك الخصيصة الأخيرة ليست في حوزة بني البشر وليست من صفاتهم (٢).

ومجموع الصور التي يعرضها الشعر الجاهلي لكثير من الحيوانات، وهي توجّه سهام البطش لأفراد نوعها، ليست بعيدة عن صور الافتراس البيئي التي يتعرض لها الإنسان، ولا بعيدة عن البطش والتتكيل والتقتيل التي يمارسها الإنسان ضد أخيه عندما يكون أقوى منه، وأمنع.

لم يكن في مقدور الإنسانية جمعاء اختبار الموت ذاته، ولم يخض أحد أبناء البشرية تجربة الموت والعودة منها، والانتهاه إلى نقل الإحساس العملي بها، وتصوير المسائل الحقيقية تجاهها، لكن الذي برع فيه الشاعر الجاهلي حقاً هو الانطلاق في معظم موضوعات القصيدة من تجاربه الشخصية ومعاناته الفردية، في الإحساس بالزمن المتناقص لديه، ذلك لأن الزمن عنده لا يتعدى الحياة التي يعيش فيها، ويمارس خلالها فعاليات العمر ونشاطاته، ويتحمل في النهاية مسؤولية مجالس القيان، وقد يضيف إليها بعض فضائله الخلقية كالشجاعة، والكرم، والمروءة، وبما يتولد معها من إحساس بالنباهي وبالفخر:

— تَمَتَّعْ يَا مُشَعَّثُ إِنَّ شَيْئاً  
سَبَقَتْ بِهِ الْوَفَاةُ هُوَ الْمَتَاعُ (١)  
— هَلِ النَّفْسُ إِلَّا مُتَعَةٌ مُسْتَعَارَةٌ  
تُعَارُ فَنَأْتِي رَبَّهَا فَرَطُ أَشْهُرٍ (٢)  
— وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ هِيَ الْمُنَى  
فَمَنْ نَالَهَا مِنْ بَعْدُ لَا يَتَخَوَّفُ  
صِحَابَةُ فِتْيَانٍ عَلَى نَاعِجِيَّةٍ  
مُنَاسِمُهَا بِالْأَمْعَزِ الْمَحِلِّ تَرَعُفُ  
وَكَأْسُ بَأْيِدِي السَّاقِيَيْنِ رَوِيَّةٌ  
يُيْدَانِ رَاوُفِيهِمَا حِينَ تُنْزَرُفُ  
وَرَبَّةٌ خَدْرٍ يَنْفُحُ الْمِسْكَ جَبِيْهُهَا  
تَضَوُّعَ رَيَّاهَا بِهِ حِينَ تُصَدِّفُ (٣)

وأيقن الشاعر الجاهلي أنّ هذه المتع لا تتحقق إلا في الحياة التي سيقضي الموت على مجملها، ويكون حدّاً فاصلاً بين تمتع الفرد وعدم تمتعه، وأدرك الشعراء هذا إدراكاً تاماً، مما دفعهم إلى اغتنام العيش، وتصيّد فرص الالتذاز، ومسابقة الموت، فربما تكون الحياة قصيرة جداً، وبخاصة أن حياتهم مليئة بضروب المتاهات التي تؤدي إليه. وبدا لنا من استقراء نصوص الشعر الجاهلي، ومعابنته، أنّ منشدي الشعر أدركوا أنّهم يجهلون موعد قدوم الموت، فربما تكون النهاية قريبة، وهو أمر زاد في اندفاعهم إلى اقتناص المتع، دونما اكترات لعذل عاذلة، أو اللوم لأنهم:

قَاتَلَهَا اللَّهُ تَلْحَانِي وَقَدْ عَلِمْتُ  
أَتِي لِنَفْسِي إِفْسَادِي وَإِصْلَاحِي  
إِنْ أَشْرَبَ الْخَمْرَ أَوْ أُرْزَأَ لَهَا ثَمْنًا  
فَلَا مَحَالَةَ يَوْمًا أَنَّنِي صَاحِي  
وَلَا مَحَالَةَ مِنْ قَبْرِ بِمَحْنِيَّةٍ  
وَكَفَنٍ كَسْرَةِ النَّوْرِ وَصَّاحِ (١)

كان الشاعر الجاهلي مؤمناً بمحدودية زمنه، من خلال تطّلع يتحرك فيه الوجدان بأكثر مما يتحرك به العقل، ويمثل الشعور بأنه ما من شيء يبقى سوى الفناء، بسبب الإحساس بتناقص العمر

الذي يقود إلى تصرّف أبعد من الواقع، ويكشف عما في نفسه من هواجس إنسانية ومخاوف ذاتية يطمح إلى التعويض عنها بتحقيق نشاط يوجي له خياله بأنّه انتصار على الزمن، وفوز على نوائبه، وبتابعه هذه الطقوس أمسى غير مكترث بما تحمله سرمدية بقاء الجنس البشري من أمنيات ومطامح في التجدد واستمرارية التكوين، وأصبح كأن لسان حاله يردّد: إذا متُّ ظمآنًا فلا نزل القطر. وبهذا وذاك نجح الشاعر الجاهلي في (( أن يطرح المعاش: الحياة؛ قلقًا وتساؤلًا، همًّا وإحساسًا باليؤس، نقص حريّة وارتواء، ولكنه لا يطرح حلولًا لازمات الواقع،...، إنه يحلّل الدّاخل المضمّر والخفيّ عن الوعي، ولكنه يحلّه اختلاسا، وحتى حينما يمارس الجهرية فإنّه يمزج بها السريّة، ويُبقي جزءاً من الشّيء مخبوءاً دوماً)) (٢)، وما ذلك إلا بسبب أن طبيعة الوجود تحمل هيمنة الموت على الحياة هيمنة جبرية، غير خاضعة لرغبة بقاء الحيّ، ولا لرؤية تسلط الموت. ولئن كان الإدراك واللاشعور يخطفان في دلالات النّص الشعريّ الجاهليّ ومضامينه، فإنّهما يسيطران على المضمون الشّاعر بالزّمن المتناقص سيطرة شبه تامّة، ويكاد الشّاعر لا يدرك ذاته حتى يتّجه انفعاله إلى تحقيق ما يعتقد انتصارا في الوجود، وأضحى الإحساس بمقولة الموت محورا لتداول قضاياها ومشاعره، وأراد مواجهة الغناء الذي يتهدّده بتحقيق فوز لم يمارس تفاصيله على أرض الواقع.

ويقينا (( أنّ الشّاعر الجاهليّ قد استطاع أن ينطلق من التّفكير في الموت إلى نوع من الانتصار الرّمزيّ على الغناء الذي يحيط به ويتهدده، فاتّخذ من مقولة الموت منطلقا لسلوكه، وكان لرؤيته للوجود والحياة، والغناء والموت، أثر كبير في تشكيل قيمه، وإبداع نماذج الإنسانية، التي تبدو في كثير من صورها محاولة لقهر العجز الاجتماعيّ)) (٣).

وخاف الإنسان الجاهليّ كثيرا من الشّرّ الكامن في الوجود، ولا شكّ أنّ طبيعة الطّروف البيئية والاجتماعية تضع بصماتها في إثراء الإحساس بالحيرة والتّردد والقلق أو إفقاره، وفي تعميقه في مخيلة الفرد، أو إحالته إحساسا سطحيّا مجردا. وتصدر التجربة الشعريّة من التّوحد بين ما تعانیه النفس في الدّاخل وما تبصره محيطا بها في الخارج. وربّما تنفع تفسيرات التحليل النفسيّ في الوصول إلى ربط المنابع اللاواعية للمواقف الروحية في إبداع النّص الشعريّ مع مصدر إبداعه المباشر المتمثل بالأفكار الغيبية. ومن هنا يأتي القول بتعدّد معاني العمل الأدبيّ الواحد، وكثرة التّأويلات التي قد تبتعد بالنّصّ عن المعنى الذي يقصده المُنشئ.

ولا نكاد - ونحن نعاين نصوص الشّعر الجاهليّ - نستثني فئة من فئات الشّعراء أو طائفة أو جيلا منهم لا تتكشف في نصوصهم شتى صور خوف العربيّ قبل الإسلام من الزمن، وما يضمّره من مفاجآت، بل على النّقيض من ذلك، بدا الإحساس بالزّمن في مواقف القلق والاضطراب والتّشاؤم سلبيا

حتى عند أولئك الذين امتلكوا الجرأة والفروسيّة، إذ إنّ وقوفهم كان متردداً وحائراً في المواقف التي تستدعي التأمّل، وتقتضي الانتباه لما في المجهول من مفاجآت. لذلك كثرت الشكوى من المصائب التي يباغتهم بها الزمن، وعزوا إليه سبب نحسهم ومعاناتهم، بل كلّ سيئة تنتظرهم، فكان طبيعياً أن يرهبوا سطوته، ويخافوا شره، ويحنقوا عليه:

وَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَمْتُ وَجْهًا      أُرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي  
أَلْخَيْرُ الَّذِي أَنَا أَبْتَغِيهِ      أَمْ الشَّرُّ الَّذِي هُوَ يَبْتَغِينِي  
دَعِي مَاذَا عَلِمْتُ سَأَتَّقِيهِ      وَلَكِن بِالْمَغِيبِ نَبِّئْنِي (١)

لكنّ أمثال هذه النظرات ما كانت تعني أنّ العربيّ قبل الإسلام كان يائساً من الخير، لكنه اعتقد أنّ الشرّ هو الأكثر شيوعاً، والأشدّ أثراً في الحياة، حتّى أن الفرد، في رأي بعضهم، مهما نال من الخير، وتمتّع به، فإنّه لا بدّ أن يحيق به من الشرّ والأذى ما يُذهب كلّ سعادته وسروره:

فإنّ نغلب فغلابون قدماً      وإن نهزم فغير مهزّميننا  
وما إن طبتنا جبنٌ ولكن      منايانا ودولة آخرينا  
كذاك الدهر دولته سجال      تكّر صروفه حيناً فحيناً  
ومن يغرر بريب الدهر يوماً      يجد ريب الزّمان له خووناً  
فقل للشّامتين بنا أفيقوا      سيلقى الشّامتون كما لقينا (١)

ارتبطت كثير من خرافات العرب قبل الإسلام وأساطيرهم بمظاهر البيئة الطبيعيّة، من كواكب وحيوانات ونباتات، وأُحيط بعضها بهالة من القداسة الموهومة. والشّاعر الجاهليّ حين يفسّر ظواهر الطبيعة، لم يكن يستعمل اللفظة استعماله لقطعة الحجر الصّلبة، بل يستعمل المعاني استعمال الخيوط زاهية الألوان في لحمة النّسج وسداه، وكثيراً ما يصدر عن اعتقاد أو ظنّ يقابل السّببيّة، وإيجاد علّة للمعلول، تعطي معنى الرّبط القائم بوجود شبه بين شيئين، ويتخيل صوراً، تردّ كلّها على أساس اتصال حدث خارق بآخر له رسوخ غيبيّ لا يدرك هو كنهه، ومثاله: الاعتقاد بتحول روح المقتول غداً، ولم يؤخذ بثأره إلى هامة تصيح اسقوني... اسقوني:

يا عمرو إن لا تدع شيمتي ومنقّصتي      أضريك حيث تقول الهامة إسقوني (٢)

يختبئ وراء المعنى الظّاهريّ في معظم النّصوص الشّعريّة الجاهليّة موقف فكري أو شعوري، وتنطوي مهمة المتلقي النّابه، والنّاقّد الحصيف على البحث عن المستتر وراء المعنى الظّاهر من أفكار ومشاعر، ويتخلّى عن فكرة خاطئة رسخت في أذهان البعض، مفادها: ألاّ عهد للشّعراء الجاهليّين بمثل هذا النّمط من الأداء، وسيدرك ماهيّة الرّموز، والإيحاءات، والتلميحيات، والإشارات، والمعاني

الغيبية، والأفكار التي ألقى بها اللاوعي على لسان الشاعر، ويدرك عمق الرغبات المكبوتة في لا وعيه أيضا. لذلك فإن مهمة الناقد والمتلقي تتحصر في إمكانية الوصول إلى أغوار العمل الأدبي برّد الظاهر إلى الباطن.

ومهما تكاثرت تأويلات النقاد بشأن الرموز التي يبنيها الشاعر الجاهلي، وتعددت بشأن الإسقاطات المركوزة في اللاوعي الجمعي للأمة، فإننا نؤمن بأن عميق موروثه المستبطن في عقله يوحي له هواجس لا يدرك تأويلاتها. فمشاهد انكفاء الشاعر الجاهلي على الثور وكثافة ذكره في القصيد الجاهلي أثار انتباه الدارسين قديما وحديثا، وتعددت التأويلات إزاء ذلك؛ فلعله مثل رمز الجذب عند العراقيين القدماء، أو رمز الضحية، أو رمز القدر (٣)، أو إن فناءه في لوحة الصيد يرمز إلى الفناء البشري (١)، أو الإحساس باللامن (٢)، أو أنه يرمز إلى الإخصاب والمطر (٣)، ويصعب تقضيل أي من التأويلات المكتظة حول حيوان واحد بدا كأنه النشيط الوحيد القادر على العنف وتخطي الصعاب، والمُنرَبِّص به بعد سلسلة من الصراعات الناجحة، وبدت صورة الحتمية المقدرة في نهاية حياته مثيلة لصورة القدر المحيط بالإنسان على الرغم من كده وكدحه طيلة حياته.

وجعل الجاهلي لكثير من مظاهر البيئة أرواحا وحياء تحس وتشعر، وتخيل الكون كائنات روحية تتحرك وتتفّس، وتترَبِّص به، وكان ينظر إلى الوجود من خلال أساطير لا يعي عمقها، وأيضا من خلال ما في نفسه من مكنونات، فأحالتها نظرات فنية تحس بتيار الحياة يتدفق في كل كائن ويستجيش في كل موجود. وكان مبعث اعتقاده بالجنّ متأثرا من تصورات بدائية انطمرت في العقل الباطن، ومن إحساسه بالانسحاب أمام وحشة الليل وسكونه، وخضوعه - تحت فيض من الأوهام - للخوف مما في البيئة من أرواح معادية شريرة، فتخيل عريف الجن:

تَسْمَعُ لَجْنٍ عَازِفِينَ بِهَا تَضْبِحُ مِنْ رَهْبَةٍ تُعَالِيهَا (٤)

إن طبيعة الروافد التي تمد الشعر الجاهلي (( جعلت لغة الشعراء لغة رمزية وثيقة الصلة بلغة الأسطورة، وجعلت كثيرا من موضوعات الشعر ذات بعد غيبي، بحيث ترد أكثر الصور الشعرية إلى أصول ميثولوجية مغرقة في القدم، وتتشكل الصور والتعبيرات تشكيلا جديدا تخفي معه الينابيع الدينية والأفكار الماورائية التي صدرت عنها هذه الصور وهذه التعبيرات)) (٥)، لكنّها تنبض بعمق الفكرة القريبة في وجدان الشاعر أيضا، وتكون قادرة على تحريض النواة المدفونة في نفسه تحت ركام حضاري يوحي بالحيوية والخصوبة. وإذا شاء البعض انتزاع الخزين اللامدرك في علاقة الشاعر

بالطبيعة، وأبقوا على ما ظهر من الأفكار صار تعاملهم معها تعامل الناثر أو الجغرافي، فكلمهم يستطيعون الإفادة من عالم الطبيعة.

وبغية الوقوف على طبيعة امتثال الشعراء الجاهليين لنداء الأفكار الغيبية والميتافيزيقية يكفينا تسليط الضوء على شعر عدي بن زيد العبادي جهد معانية نصوص جاهلية أخرى أو تقصي ذلك الامتثال عند آخرين. فلقد استجلب عدي من الغيب أفكارا أدت إلى غلبة الموعظة في شعره، وربما تكون انحدرت بسبب انتمائه إلى فكر ديني لا يعزب عنه شبح الموت، زد على ذلك انحسار فسحة الأمل في نيل الحرية والخلاص من قيود السجن، لذلك سخر ثقافات عصره، واستعرض أحوال السابقين، والأُمم الغابرة، وقرن مصيرهم بالمصير الذي ينتظره:

|                           |                               |
|---------------------------|-------------------------------|
| شط وصل الذي تريدين مني    | وصغير الأمور يجني الكبيراً    |
| قد أرانا وأهلنا بحفيـرٍ   | نحسب الدهر والسنين شهورا      |
| فأمنًا وغـرنا ذاك حتى     | راعنا الدهر قد أتانا مُغـيرا  |
| إنما الدهر لئبٌ ونَطـوْحٌ | يتنكُّ العظْمُ واهياً مكسورا  |
| فأسأل الناس أين قُبئـسٍ   | طحطح الدهر قبلهم سابورا       |
| ولقد كان ذا جنود وتاجٍ    | ترهب الأُسْدُ صوله والزئيرا   |
| وبنو الأصفر الكرام ملو    | ك الروم لم يبق منهم مذكورا(١) |

تأمل عديّ تقلبات الزمان، وأحسّ بمداهمة الغناء، وبقي شبح الموت ماثلاً أمامه، وظلت حوادث الأسحار تتهدده، فجاء شعره يدور في فلك الحقيقة الكونية الخالدة؛ الموت. وكان عدي مستعداً للهلاك النفسي إذ لم يحاول التعويض، ولم يبحث عن بديل نفسي يروِّج به بعض همومه، ويتسلى عنها. ولقد تاقَت روحه إلى الحياة فأظهرت غصّة الموت، وتشبث بالخلاص من السجن، فازدادت تكبلاً وتقييداً. وهكذا أحال أيام عمره إلى دعوات راهب وإرشادات نبي، ووصايا ميت، وفي ذلك كله، كثيرا ما كان ينأى عن عالمه المحسوس إلى العالم الغائب، يتكئ عليه ويستترقد منه:

|                              |                                  |
|------------------------------|----------------------------------|
| فادعُ نفسا لرشدها قبل هُلكٍ  | إنما الهلكُ أن تزور القبورا      |
| لا تتامنْ كلَّ يومك جهلا     | وتندكرُ وحادث التذكيرا           |
| أيها المبتغي سبيل نجاة       | أشعر البر في الفؤاد ضميرا        |
| لا أرى الموت يسبق الموت شيئا | نعص الموت ذا الغنى والفقيرا      |
| يدرك الأبد الغرور ويـر       | دي الطير في النيق ينتئين الوكورا |
| أين أين الفرار مما سـيأتي    | لا أرى طائرا نجا أن يطيرا        |

أيها النائم المغفل أبصُرْ أن تكون المضلَّـل المغرورا (١)  
فقد كان إحساسه بالكون والوجود والمصير والحياة والموت والحرية والاضطهاد والإيمان إحساسا مرهفا، لكن ذلك الحسّ لم يخضع إلى المعاينة في ظروف اعتيادية تستجلي غبار الهمّ والخسران الذي هو فيه، وتسمح بإعمام صورة هذا التأمل - ولو بدرجة أقل - على الشعر الذي أنتجه أبناء الحيرة، وترسم صورة معينة لامتثال بيئتها الشعرية لنداء الإلهام الشعري المرفد مما وراء الطبيعة والميتافيزيقيا، لذلك فإن هذا الانجاز يبقى من ممتلكات عدي بن زيد الشخصية لارتفانه بمعاينة نفسية وفكرية لها مبرراتها، لكن ذلك لا يعني اجتثاث جذور الشاعر الثقافية وتركه معلقا في الهواء، بل الصحيح أن يُنظر إلى الأفكار الغيبية الغزيرة التي ملأت ديوان شعره على أنها جزء من معطيات ثقافة المنطقة العربية، مثل اعتماده قضية الطوفان والخليقة:

|  |   |
|--|---|
| عن ظهرِ غَيْبٍ إِذَا مَا سَأَلْتُ سَأَلَا    | اسْمَعْ حَدِيثًا كَمَا يَوْمًا تُحَدِّثُهُ      |
| فِينَا وَعَلَّمْنَا أَيَّامَاتِهِ الْأَوْلَا | أَنْ كَيْفَ أَبْدَى إِلَهَ الْخَلْقِ نِعْمَتَهُ |
| وظُلْمَةٌ لَمْ يَدْعُ قُتُقًا وَلَا خَلَا    | كَانَتْ رِيَاحًا وَمَاءً ذَا عُرَانِيَةٍ        |
| وعزل الماء عما كان قد شغلا                   | فَأَمَرَ الظُّلْمَةَ السُّودَاءَ فَانْكَشَفَتْ  |
| تحت السماء سواءً مثل ما فعلا                 | ويسطر الأرض بسطا ثم قدرها                       |
| بين النهار وبين الليل قد فصلا                | وجعل الشمس مِضْرًا لَا خَفَاءَ بِهِ             |
| ما إِنْ نُكَلِّفُنَا زَيْتًا وَلَا قُتُلَا   | وفي السماء مصابيح تضيء لنا                      |
| وكان أخزها أن صور، الرُّجلا                  | قَضَى لِسِتَّةِ أَيَّامٍ خَلِيْقَتَهُ           |
| ونفخ الروح في الجسم الذي جبلا                | دعاه آدم صوتاً فاستجاب له                       |
| وزوجه صنعة من ضلعه جعللا                     | ثم أوره الفردوس يعمرها                          |
| من شجر طيب إن شم أو أكلا                     | لم ينهه ربه عن غير واحد                         |
| كما ترى ناقة في الخلق أو جملا                | فكانت الحية الرقشاء إذ خلقت                     |
| بأمر حواء لم تأخذ له الدغلا                  | فعمدا للتي عن أكلها نهيا                        |
| من ورق التين ثوبا لم يكن غزلا                | كلاهما خاط إذ برأ لبوسهما                       |
| طول الليالي ولم يجعل له أجلا                 | فلاطها الله إذ أغوت خليفته                      |
| والترب تأكله حزنا وان سهلا                   | تمشي على بطنها في الدهر ما عمرت                 |
| وأوجدا الجوع والأوصاب والعللا(١)             | فأتعبا أبويها في حياتهما                        |

والزباء وجذيمة:

أَلَا أَيُّهَا الْمُثْرِي الْمُرَجَّي  
دَعَا بِالْبَقَّةِ الْأَمْرَاءَ يَوْمًا  
فَلَمْ يَزَّ غَيْرَ مَا إِنْ تَمَرُوا سِوَاهُ  
فَطَاوَعَ أَمْرَهُمْ وَعَصَى قَصِيرًا  
أَلَمْ تَسْمَعْ بِخَطْبِ الْأَوْلِيَا  
جَذِيمَةً عَامَ يَنْجُوهُمْ ثُبِينَا  
فَشَدَّ لِرِجْلِهِ السَّفْرُ الْوَضِينَا  
وَكَانَ يَقُولُ لَوْ نَفَعَ الْيَقِينَا (٢)

كما أن طبيعة الأخلاق التي أظهرها عدي بن زيد العبادي في شعره لا تتفصل عن الخصائص التي تحسسها شعراء العرب قبل الإسلام الآخرون:

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي (١)

وتلك مقولة روي عن الحسن البصري أن رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) قال عنها: كلمة نبي ألقى على لسان شاعر: إن القرين بالمقارن مقتدي (٢).

لا تعدو علاقة الإنسان بالكون إلا أن تكون واحدة من تلك المشاكل التي أدخلها "بول جانيه" في عالم الميتافيزيقيا الخاصة (٣)، وفيها نجد أن الشعراء الجاهليين قد اهتموا بحل هذه المشكلة على طريقته الخاصة، فاستوعبوا شتى المواقف المحتملة في صلة الإنسان بالطبيعة، وموقفه منها، وحاولوا نقل إحساسهم بالوجود، وشعورهم بقيمة الإنسان، وفهمهم للعلاقة بين الإنسان والكون...

في ضوء هذا كله، يجب ألا نميل إلى القول بعزلة العرب قبل الإسلام، وتكريس سبب تكوين مبادئ الفكر العربي وأساساته على أثر بيئة الصحراء فيه، ونغمض العين عن حجم التلاقح مع حضارات الأمم المجاورة، ولا نستبعد اطلاع المتقنين - الشعراء خاصة - على بعض الأفكار الفارسية والمعتقدات اليهودية والمسيحية، ونخال أن في ذلك عوزا إلى توسل السير الذاتية لكثير من شعراء ذلك الزمان، وارتداد التيارات الجوهرية بعيدة الغور التي أثرت في بعث نوازح التأمل والحيرة والالتباس في مكنونات نفوسهم، وسيكون ذلك منهجا سليما قادرا على فرز المؤديات الحاملة لجوهر العقائد والطقوس التي نادى بها أنبياء ديانتني التوحيد؛ اليهودية والمسيحية، وجاءت شذرات من معانيها ومضامينها في نصوص لشعراء جاهليين ليس عدي بن زيد العبادي إلا مثالا لهم.

الهوامش :

- ينظر : مواقف في الأدب والنقد، ص ٦٥- ١١٢
- (٢) ينظر: بحوث في المعلقات، ص ٩١.
- (٣) ينظر: دراسات في الشعر الجاهلي، أنور أبو سويلم، ص ١٢٧.
- (٤) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ٢٦٥.
- (٥) ينظر: دراسات في الشعر الجاهلي، أنور أبو سويلم، ص ١٣٥.
- السيرة النبوية، ج ٤ ص ٢٥٠. الأبيات لفروة بن مسيك المرادي، شاعر مخضرم، والأبيات جاهلية.
- ديوان ذي الإصبع العدوانى، ص ٧٦
- . ديوان عدي ق ٩. حفير : مكان.
- بين الميتافيزيقا والشعر (مقال)، ص ٢٠
- الشعر والفكر الغيبي في الموروث الإنساني (بحث)، ص ١٢٠.
- الشعر والفكر الغيبي في الموروث الإنساني (بحث)، ص ١٤٢.
- ديوان بني بكر في الجاهلية، البيت لجساس بن مرة، ص ٣٨٣.
- مدخل إلى الأدب الجاهلي، ص ٢٢٣.
- شعر زيان بن سيّار الفزاري، ق ٣.
- ديوان عدي بن زيد العبادي، ق ٢٣.
- معجم الشعراء، ص ٨٢.
- المعجم الفلسفي، ٢: ٣٠٤.
- الأصمعيات، ص ٢٠٣. القائل شاعر مغمور معاصر للمثقب العبدى، اسمه مشعث العامري.
- شرح ديوان لبيد، ق ٨. (٣) قصائد جاهلية نادرة، ص ١٢٨. الشاعر عبيد بن عبد العزى، ناعجية: ناقة بيضاء، الأعمز: المكان كثير الحصى، ترعف: تدمى، راووق الخمر: المصفاة.

- ديوان امرئ القيس، ص ٤٨٧ — ٤٨٩. الغول: كل ما اغتال الإنسان فأهلكه، الختور: الغادر، المصانع: الحصون، ذو رياش: الرئاش بن قيس، من ملوك اليمن.
- جمهرة أشعار العرب، معلقة عمرو بن كلثوم، ص ١٤٠.
- كتاب شرح أشعار الهذليين، ج ٢ ص ١٥٣. الأبيات لأبي خراش الهذلي. العزم: الصبر، الكظم: الحلق، الرّجم: القبر.
- ديوان عدي ق ١٠٣. العرانية: مد السيل، المصر: الحاجز بين الشيتين، جُبل: خُلق، بزا لبوسهما: سلبا ثيابهما، لاطها: ألصقها، خليفته: آدم وحواء، وقوله: لم يجعل لها أجلا: إشارة إلى ما يزعمون أنّ الحيّة لا تموت إلا بعرض لها من قتل أو نحوه.
- ينظر: الزّمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، ص ٢٧٧ م. ن. ق ١٣٨.
- مشاكل عصريّة في الشعر الجاهليّ، والتر براونه، ١٤-١٥، نقلا عن المرثاة الغزليّة، ص ٨.
- ديوان طرفة بن العبد، ص ٥.
- ديوان الأعشى الكبير، ق ٣٦.
- ديوان أوس بن حجر، ق ٥. تلحاني: تلومني، الرزء: المصيبة، المحنية: منعطف الوادي.
- بحوث في المعلقات، ص ٦ - ٧.
- الإنسان والزّمان في الشعر الجاهليّ، ص ١٤٨.
- ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦ ص ١٧٣ - ١٧٧.
- ينظر: مواقف في الأدب والنقد، ص ٦٥ - ١١٢.

#### المصادر والمراجع

- (١) الأصمعيات، اختيار الأصمعي، أبي سعيد عبد الملك بن قريب (ت ٢١٦هـ). تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هرون، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤م.
- (٢) الإنسان والزّمان في الشعر الجاهليّ، د. حسن عبد الجليل يوسف، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، (د.ت).
- (٣) بحوث في المعلقات، يوسف اليوسف، منشورات وزارة الثقافة والإعلام السوريّة، دمشق، ١٩٧٨م.
- (٤) بين الميتافيزيقا والشعر (مقال)، د. زكريا إبراهيم، مجلة الآداب البيروتية، العدد ٣، ١٩٦٢م.
- (٥) جمهرة أشعار العرب، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشيّ (ت ١٧٠ هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٦٣م.
- (٦) دراسات في الشعر الجاهليّ، أنور أبو سويلم، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧م.

- (٧) ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس)، تحقيق محمد محمد حسين، المطبعة النموذجية، مصر، (د.ت).
- (٨) ديوان امرئ القيس برواية الأعلام الشننمري (ت٤٤٧٦هـ)، تحقيق الشيخ ابن أبي شنب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٤م.
- (٩) ديوان أوس بن حجر، تحقيق د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧م.
- (١٠) ديوان بني بكر في الجاهلية، جمع وشرح وتوثيق ودراسة د. عبد العزيز نبوي، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٨٩م.
- (١١) ديوان ذي الإصبع العدواني، تحقيق د. عبد الوهاب محمد العدواني، مطبعة الجمهور، الموصل، ١٩٧٣م.
- (١٢) ديوان طرفة بن العبد، بشرح الأعلام الشننمري (ت٤٤٧٦هـ) مطابع برطرنند، باريس، ١٩٠٠م.
- (١٣) ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق محمد جبار المعبيد، دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٥م.
- (١٤) الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، د. عبد الإله الصائغ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م.
- (١٥) سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم)، أبو محمد عبد الملك بن هشام (ت٢١٣هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٩٣٧م.
- (١٦) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة الإمام أحمد أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت٢٩١هـ)، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، ١٩٤٤م، نشر الذار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤م.
- (١٧) شرح ديوان لبيد، تحقيق وشرح د. إحسان عباس، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٦٢م.
- (١٨) شعر أبي ذؤاد الإيادي ضمن كتاب (دراسات في الأدب العربي القديم)، جمع غوستاف غرينباوم، ترجمة د. إحسان عباس وأخرين، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٩م.
- (١٩) شعر زبّان بن سيار الفزاري، جمع د. نوري حمودي القيسي، مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد ٢، المجلد ٤٠، ١٩٧٩م.
- (٢٠) شعر المثقب العبدى، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٦م.
- (٢١) الشعر والفكر الغيبي في الموروث الإنساني (بحث) د. كاظم حمد محراث، مجلة المعرفة السورية، العدد ٤٢٧ أبريل ١٩٩٩م.
- (٢٢) العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٦٤م.
- (٢٣) قصائد جاهلية نادرة، د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢م.
- (٢٤) كتاب شرح أشعار الهذليين، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٥م.
- (٢٥) مدخل إلى الأدب الجاهلي، إحسان سركيس، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٩م.
- (٢٦) المراثة الغزلية في الشعر العربي، د. عناد غزوان، مطبعة الزهراء، بغداد، ١٩٧٤م.
- (٢٧) معجم الشعراء، المرزباني (ت٣٧٨هـ) تحقيق عبد الستار فراج، دار إحياء الكتب، مصر، ١٩٦٠م.
- (٢٨) المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.
- (٢٩) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، دار العلم للملايين، ومكتبة النهضة، بغداد، ١٩٧٦م.
- (٣٠) مواقف في الأدب والنقد، د. عبد الجبار المطلبي، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٠م.